# حينما حل الوباء..

وقالت لي الأرضُ – لما سألت: أيا أمُّ هل تكرهين البشرْ؟

أبو القاسم الشابّي.

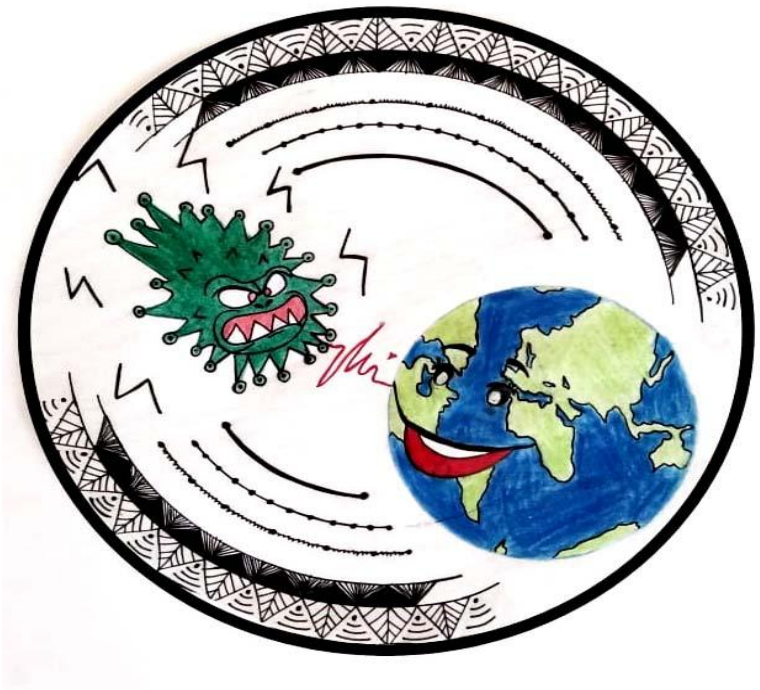

كتابة: م. عزام حدبا– أ. نادين رفاعي

رسم الغلاف: آلاء زمتر

قصة قصيرة ذات أبعاد فكرية عن تأثير الكورونا على البشر والبيئة

## جدي توفي

هذا المرض يختار كبار السن وضعفاء المناعة ليقضي عليهم.. هكذا أبلغني الطبيب.. مشيت على الطريق الضيق لقريتنا، استنشق العبير المتدفق من اشجار الشوح التي تطوقني... لقد دفنت للتو جدي الحبيب.. جدي الذي امضى 85 سنة من حياته في هذه القرية.. يعرف زواياها.. يعرف كل شجرة فيها.. ويعرف أجيالا من سكانها... لم يحضر أحد الجنازة.. لن تقام مراسم العزاء.. هدوء مريب.. وحدة قاتلة.. رحل جدي دون صوت.. بصمت.. وبقينا وحدنا دون مواساة.. نشتهي عناقا من غريب يهمس في أذننا: "عظم الله أجركم.. رحمه الله.. كان رجلا طيبا"

## الخوف من الآخر

حينما تبلغت الخبر كنت في منزلي في فرنسا.. حجزت بطاقة على أول طائرة قادمة الى لبنان.. في المطار لم أعامل كإنسان بل كما لو كنت قنبلة موقوتة أو لغما قد ينفجر في أي لحظة.. لم يبالوا باسمي.. لم يهتموا بلون عيني.. لم ينظروا إلى شهادتي ولا موقعي الوظيفي... تحولت إلى رقم.. مجرد رقم.. وعندها أيقنت ان ما انتشر من ووهان الصينية لم يكن الفيروس فحسب، بل ما هو أخطر منه، إنه الخوف. الخوف من الآخر..

من تلك الظلال الخفية المختبئة في أجساد الآخرين والتي تحوّلت فجأة إلى أفاع تنفث العدوى.

## عودة الطبيعة الى الواجهة

في الطائرة جلس قربي رجل غربي.. كان خائفا مثلي.. يلبس الكمامة مثلي.. فجأة شعرت بكل الفروق الثقافية بيننا تتلاشى .. شعرت بانهيار كل انظمة الفصل العنصرية.. كل السدود.. كل الحواجز.. كل جدران برلين.. سقط الفارق الذي يقسّم البشرية بين من يملك تاريخاً ومن يعيش خارجه، بين جنوب فقير وشمال غني، بين من يملكون ومن لا يملكون. انتشار هذا فيروس اللعين أكد لنا ما حاولت التغييرات المناخية أن تفهمنا إياه من قبل.. نحن نعيش في نفس المركب.. إن غرق سنغرق كلنا.. والخطر الذي نعيش فيه لا يمكننا تجاوز مخاطره إلّا متحدين.

## الارض تتعافى

أعاد هذا الفيروس الطبيعة إلى عرش السلطة بعد أن ظننا إننا قادرين على التحكم بها. تجبرنا الطبيعة اليوم أن نصغي لها، فإما نكون أو لا نكون.. وها أنا امشي في قريتي.. لأول مرة لا أرى ضبابا أسود في الأفق البعيد.. لأول مرة لا اشم روائح المازوت القادمة من المدينة.. استرجعت قريتنا نضارتها ورونقها.. ليست هي فقط بل الأرض كلها.. حمل هذا الفيروس لكوكبنا بعض الايجابيات.. خفف نسبة التلوث وساهم برتق ثقب الأوزون

بفضل توقف المصانع عن العمل وبالتالي انخفاض الانبعاثات السامة.. حقا إن كل ضارة نافعة.. حتى أنا نفسي تغيرت.. تغيرت للأفضل..

**فرصة للتفكر**

في فرنسا وقبل قدومي.. كان الحظر شاملا.. لم يكن يسمح لنا بالتنزه في الحدائق كما أتنزه الآن في قريتي.. عشت فترة طويلة بين أربعة جدران.. بت اكثر إدراكا لأولوياتي في الحياة وأكثر نهما لقراءة ما ينفع.. قرأت الكثير من الروايات التي كنت اقتنيها ولا أجد الوقت لقرائتها.. تركت هاتفي قليلا وانغمست في عالم الورق.. آه ما اجمل الورق.. ما أجمل عطره وما أجمل عالمه.. سحره يحملك فوق حصان مجنح تحلق فيه بعيدا بعيدا وعاليا عاليا.. مع ذلك.. بدأت اشعر بالملل.. فالإنسان خلق كي يكون حرا.. ولا يستطيع ان يحجز نفسه طويلا بين أربعة جدران.. إنشغلت بمهام سخيفة لا تخطر على البال.. لقد حفظت بيتي وتفاصيله ركنا ركنا.. أحصيت عدد البلاطات في المطبخ.. بل حتى عدد الحبوب في كيلو العدس..

**الطبيعة ودورة الحياة..**

من منزلي في الريف وبعد انتهاء نزهتي شغلت فيلم الملك الاسد وغفوت اثناء ذلك وكان آخر ما تذكرته حوار الملك مع ابنه:

كُل ما تبصره يا بني يتعايش سوية في توازن.. وأنت عليك كملك أن ترعى هذا التوازن.

–لَكن يا أبت.. أو لسنا نلتهم الغزلان؟

–نعم يا بني.. لكن حنما نموت تتحلل أجسادنا لتغدو عشبا يأكله الغزال.. لذا جميعنا متصل ضمن دورة الحياة..

غفوت وحلمت أن الطبيعة تكلمني.. تحاول ان تشرح لي وجهة نظرها.. قالت لي: أنا أم.. والأم لا تميز بين ألادها.. كلكم أولادي: الشجر والحجر والبشر وحتى الجراثيم.. أنتم تنظرون إلى الولادة كأنها بداية مطلقة، بينما أنظر لها كمجرد عربة نقل تقود الحياة نفسها من شكل إلى آخر.. حياتك ما هي الا استمرار لحياة كانت موجودة قبلك، حياة والدك، وحياة جدك الذي توفي البارحة وغدا سيكون جسده وجبةً للدّيدان والبكتيريا والفطريات، وهكذا اذن يموت شيء ليحيا شيء آخر وتظل الحياة موجودة بشكل مختلف.

– لكن هذا الفيروس يهدد بإبادة البشرية.. سألتها غاضبا.. أين التوازن في هذا؟؟؟

– أنتم من خرقتم هذا التوازن يا ولدي..

– ألسنا اولادك؟؟ سألتها.. هل تقتل الأم أولادها؟؟

– لا.. لكن إن أهمل الولد العاق أمه فمن أين ستمتلك القوة لعلاجه؟

**إن في ذلك لعبرة**

حينما استيقظت.. بحثت اكثر عن هذا الفيروس وفهمت.. فهمت ان الطبيعة ما كانت لتسمح له بأن ينتشر هكذا لو لم نتدخل نحن وندمر

التوازن البيئي.. لا استطيع أن أحسم الجدل إن كان الفيروس مصنع مخبريا أم لا لكن بالتأكيد ليس طبيعيا مئة بالمئة.. الطبيعة لا تقتل أولادها.. لربما كان هذا درسا علينا أن نتعلمه.. أن نتعلم التواضع.. قرأت أن مجموع أوزان الفيروسات التي اصابت البشرية كلها مجتمعة هي ٢ غرام إلا ربع.. تخيل.. شيء صغير وزنه أقل من ٢ جرام أنهك البشرية.. سبعة مليارات بشري .. بكياناتهم.. بحضاراتهم.. بدولهم.. بأسلحتهم.. بأموالهم.. بممتلكاتهم بجبروتهم.. بمخططاتهم.. لم يستطيعوا فعل شيء أمام ٢ غرام إلا ربع... مخلوق صغير لا يرى بالعين المجردة قادر على إفناء البشرية كلها.. والإنسان هش وضعيف مهما طغى وتجبر..